حِبر أبيَض
WHITE INK

أ.د. حياة الرشيدي

بايزيد الثاني وسيرته الذاتية

بايزيد بن محمد الثاني : ســـلطان عثماني كان واليا على أماسيه عندما توفي والده ، وقد توطد حكمه بفضل الفتنة التي قام بها الانكشارية فأحبطوا دسائس الصدر الأعظم نشاني محمـــد الذي كان يناصر أخاه الأصغر " جـــم " وكافأهم بايزيد على ذلك عند اعتلائه العرش في عام 886هـ/1481م ، ونفحهم بمنحة أضحت تقليدا جرى عليه السلاطين من بعده.

عمد بايزيد الى البابا إسكندر السادس واغراه على ان يخلصه من أخيه التعس – على حـــد وصف دائرة المعارف – وقـــد دفنه بعد موته عام 900هـــ/1495م بمقبرة مراد الثاني في بروسه .

في نفس العـــام الذي تولى فيه اضطـــر خيرالدين الذي كان يحارب فـــي أترانتو الى التســـليم . وتوالت الحملات على البوسة ودلماشيا والمجر ، واخضعت الهرسك ، وكان بايزيد يقود الحملة بنفســـه على البغدان فاســـتولى على كيليا و آق كرمان بمساعدة تتر القرم عام 889هـ/1484م .

وفي آســـيا فقد أمر على الجيش هرسك احمد باشـــا ووجه الى تأديب المماليك في مصر ولكنه هُزم ، وخســـر بايزيد أضنة وطرســـوس عام 891هـ/1486م ، واســـتعيدت هاتان البلدتان بعد ذلك بســـنتين ثم فقدتا في موقعة 893هـ/1488م ، بين العثمانيين والمماليك ولم يعقد صلح .

وتخلى بايزيد عن حصـــار بلغراد لتوالي انتصار المجر ، ثم وجه همه الى البابا فخرب ستيريا وكارنيولا . وهُزم الترك بالقرب من فلاتش وقتل قائدهم ميخال أوغلي علي باشا .

وتخلى اســـطول البنادقة عن " آيـــن بختي " فاضطرت الى التســـليم وأصبحت دار الصنعـــة المجاورة للعثمانيين . وفي العام التالي غزا الســـلطان مودوني ونافارينو و كورون ، ولكنه فشـــل ، وتحالف البنادقة والبابا والمجر واجتاحوا بحر الأرخبيل – اليونان – بمســـاعدة الأســـطولين الفرنسي والأسباني وهددوا الجزائر وسقطت سانتا مورة في يد الحلفاء ، واعيدت للعثمانيين بعد صلح 1522م .

اشـــتعلت الفتن الداخلية في وجه بايزيد الى جانب حروبه الخارجية وتشتت جيشه . وكانت تلك الفتن بسبب ابنه سليمان الذي استاء من أن والده قد عقد البيعة لأخيه حمد فترك منصبه في اســـيا وحارب أباه بمساعدة الانكشـــارية أيضاً – لأنهم مرتزقة فلا اشكال لديهم في تلك المشاركات المتضادة – عند كورله ، ودارة الدائرة عليه في 917هـ/1511م ، بحمية خان القرم ، وعلا نجمه وذهب الى إســـطنبول ، ثم تمكن بمساعدة الجيش من إجبار والده على التنازل له في 918هـ/1512م ، .

وبعدها بايزيد أراد ان يعتكف في مســـقط رأسه ديمتوقه ، ولكنه توفي قبل ان يحقق ذلك بثلاثة أيام . وكان الســـلطان صوفي مخلص للصوفية وكان يلقب بالولي ، ولم مســـاجد يتبعها تكايا للدراويش في العاصمة والأقاليم وغيرها .

تلك مقتطفات من ســـيرة السلطان بايزيد الثاني للتأمل والتماس العذر له في عدم مساعدته بجدية لمسلمي الأندلس واغاثتهم ، وهو الذي صال وجال بجيشه في مغامرات كان البارز منها الخسارة المؤزرة ، ولجؤه الى البابا وغيره ممن حاول ان يستعطفهم لحل مشاكله السياســـية وحمايته من التحالفات المتعددة ضده . فكيف يمكن بعد ذلك أن يهتم بمسلمي الأندلس ؟ ، وكان العديد من المؤرخين بالفعل يذكرون مبرر عدم اتخاذه موقف واضح ومحدد وملزم لاستغاثات المســـلمين وتردد المراسلات ، لأن الدولة مشـــغولة في حروب ، ومواقف كانت في غنى عنها ، ولم يســـلطوا الضوء على الكيفية التي ساعدته لاعتلائه الحكم ، والنهاية لحكمه بالموضوعية اللازمة ، وان ابنه انتزع منه الحكم من نفس الكأس .

ونهايته كانت العزلة والتصوف والانشغال بالدراويش وطقوسهم ؟؟!!.